



# مركز سام للدراسات الإستراتيجية SAM CENTER FOR STRATEGIC STUDIES

سوريا.. إلى مزيد من التصعيد برغم قرار مجلس الأمن!

**مدخل:**

".. هذه المناطق غير مشمولة بقرار مجلس الأمن الدولي الجديد" .. هكذا كان وضع ولسان حال عدد من الحكومات والعواصم الفاعلة في الحرب السورية، ولن نقول غداة، بل حتى في لحظة إصدار القرار الذي حمل رقم (2401)، وكانت قد تقدمت به الكويت والسويد، من أجل التوصل إلى هدنة في سوريا، لمدة شهر.

ولعل أهم الأمور التي يكشف عنها هذا الوضع الذي سوف تحاول هذه الورقة استجلاءه، هو مدى التعقيد الذي وصلت إليه الحرب في سوريا، مع تحولها إلى ساحة صراع لمختلف القوى الكبرى إقليمياً ودولياً.

فقد استأنفت القوات الحكومية السورية عمليات القصف على مناطق الغوطة الشرقية المتاخمة للعاصمة دمشق، ويتمركز فيها عشرات الآلاف من مقاتلي المعارضة السورية المسلحة، في خريطة شديدة التعقيد، تكشف عمق الأزمة، وأنها بلا حلٍ في الأفق إطلاقاً.



# مركز سام للدراسات الإستراتيجية

## SAM CENTER FOR STRATEGIC STUDIES

الإيرانيون والروس قالوا بأن القرار لا يشمل الغوطة لأنه توجد فيها فصائل مصنفة إرهابية، وعلى وجه الخصوص "هيئة تحرير الشام" التي تشكل "جبهة النصرة" - القاعدة في سوريا سابقاً عمودها الفقري - و"فيلق الرحمن" المتحالف معها، والمدعوم من قطر وتركيا.

وفي حقيقة الأمر؛ فإن القرار حمل معطلاته، بل وشهادته وفاته؛ حيث إنه شمل ذات الاستثناءات التي تستند إليها موسكو ودمشق وحلفاؤهما في العمليات العسكرية التي تتم منذ سبتمبر 2015م، وحتى الآن.

فذلك، لا يبدو من المفهوم سبب إصرار الدول التي أعدت القرار وأصرت على التصويت عليه في مجلس الأمن، على القرار الذي بذلك وُلِدَ ميتاً!

فبطلب من موسكو، ولأجل تفادي "فيتو" منها يعطل القرار، تم تضمين استثناءات من وقف إطلاق النار، للمعارك ضد تنظيم الدولة "داعش"، و"القاعدة".

وبطلب من موسكو كذلك، شمل هذا الأمر "أفراداً آخرين ومجموعات وكيانات ومتعاونين مع "القاعدة" وتنظيم "الدولة الإسلامية" وكذلك مجموعات إرهابية أخرى محددة من مجلس الأمن الدولي"، بحسب ترجمة لوكالة الأنباء الفرنسية لنص القرار.

مصدر الاستغراب الآخر، هو أن القرار في بواغث إعداده كان إنسانياً بشكل بحت، من أجل رفع الحصار عن بعض المناطق المأهولة، من بينها الغوطة الشرقية ومخيم "اليرموك"، بلدتي "الفوعا" و"كفريا" ذاتا الغالبية الشيعية.



# مركز سام للدراسات الإستراتيجية

## SAM CENTER FOR STRATEGIC STUDIES

وبالتالي؛ فقد كان يمكن الاستقرار على الجانب الإنساني، مع تنفيذ مطلب روسيا بأن تشرف دمشق على قوافل الإغاثة الإنسانية، من دون أية تفاصيل سياسية، تمس صلب الحرب التي تصاعدت في الأسابيع الأخيرة، في إدلب، وفي الغوطة.

أما الأتراك، فقد قالوا بأن لديهم اعتبارات أخرى لا تتصل بالحرب الحالية في سوريا، فيما يخص عملياتهم العسكرية في "عفرين"، شمال غرب سوريا، ضد وحدات حماية الشعب الكردي، وبأن قرار مجلس الأمن غير معني بها.

....

في هذا الإطار، تسعى هذه الورقة لأن تناقش بعض الجوانب المتعلقة ليس بالقرار في حد ذاته، وإنما بحقيقة المشهد في سوريا، والذي تُعتبر الشؤون العسكرية فيه؛ هي الواجهة لا أكثر!

### عن الأمريكيين وأجنداتهم:

في واقع الأمر؛ فإنه، وخلافًا للظاهر؛ فإن أكثر طرف دولي حقق أهدافه التي دخل لأجلها غمار الحرب السورية، وفي ذات الوقت حصد أقل المغارم، هو الولايات المتحدة.

فالبعض يرى أن الروس هم أكبر الرابحين من وراء تدخلهم في الحرب الحالية في روسيا؛ حيث أسندوا نظامًا يمثل بالنسبة لهم حليفًا إستراتيجيًا، حاصدين المغارم حتى من قبل الحرب، في صورة قواعد عسكرية وعقود إعادة إعمار، في حلب وحمص، وغيرها.



# مركز سام للدراسات الإستراتيجية

## SAM CENTER FOR STRATEGIC STUDIES

إلا أن واقع الأمر، وما يدور من خلف الكواليس يقول بأنه، ووفق حسابات المغامر والمغامر؛ فإن الأمريكيين - لا نقصد الإدارة الحالية، بقدر ما نقصد المؤسسات الحقيقية التي تصنع وتتخذ القرارات الإستراتيجية، مثل وزارة الدفاع - هم أكبر الرابحين، على الأقل مقارنةً مع ما أنفقوه من تكاليف سياسية ومادية.

بل إنه على مستوى النقطة الزمنية للتدخل؛ فإن الأمريكيين كانوا أسبق - خلافاً لما هو ظاهر كذلك - من باقي الأطراف في التدخل في الموضوع السوري، وإن كانت البداية، وقت إدارة الرئيس السابق، باراك أوباما الثانية، من خلال وكلاء إقليميين، هم تركيا ودول خليجية، أهمها قطر والإمارات.

لدينا أولاً اتفاق كامل بين الروس والأمريكيين في الهدف الخاص بإعطاء الأولوية لمحاربة التنظيمات الإرهابية الأهم بالنسبة لموسكو وواشنطن، وهي: "القاعدة"، وتنظيم الدولة "داعش".

وفي هذا؛ هناك تطابق حتى على مستوى التصريحات بين الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، ونظيره الأمريكي، دونالد ترامب، في هذا الصدد، بما في ذلك أن العام 2018م، سوف يشهد منح الأولوية لمقاتلة "جبهة النصرة"، وفي الأصل؛ فإن مكافحة هذه التنظيمات كان أولوية في برنامج ترامب الانتخابي.

وهناك الكثير من العلامات التي تشير إلى أن الأمور في سوريا تسير وفق مخطط أمريكي منذ البداية.



# مركز سام للدراسات الإستراتيجية

## SAM CENTER FOR STRATEGIC STUDIES

الأول؛ تصريح مهم لأوباما وقت تصاعد أزمة اللاجئين السوريين الفارين من حلب وحمص ومدن سورية أخرى، في العام 2014م، والعام 2015م؛ حيث حدد أوباما خطط بلاده لاستضافة عدد من اللاجئين السوريين، شملت أعوامًا تالية للعام 2018م، وهو ما يعني أن الأمريكيين منذ سنوات على علم كامل بأن الحرب في سوريا سوف تستمر لسنوات طويلة قادمة، وبالتالي؛ فهم من بين مخططي هذا الوضع أصلاً!

الدليل الثاني، هو تسليح الأمريكيين وقت أوباما، وبسلاح ثقيل، وحدات حماية الشعب الكردية، بل وتشكيل قوات سوريا الديمقراطية - وكلاهما الخصم اللدود للأتراك - ومنح أكراد سوريا الأخطر على الأمن القومي التركي من حتى نظرائهم في جنوب شرق تركيا، الكثير من الميزات التي مكنتهم من تأسيس فيدرالية "روج آفا" في مناطق شمال سوريا بالكامل تقريبًا عدا إدلب، في ربيع العام 2016م، بما في ذلك مناطق غرب الفرات، التي تمثل خطأً أحمر للامن القومي التركي.

ومن بين الأدوات التي استخدمها الأمريكيون في هذا الصدد، هو دمج الكيانات السياسية والعسكرية الكردية في الحرب على التنظيمات المصنفة إرهابية، وتعمل على الأراضي السورية، وهو ما منح الأكراد شرعية وحصانة أمام المجتمع الدولي.

إدارة أوباما - كما اعترف بذلك الرئيس التركي، رجب طيب أردوغان - كانت تعمل مع الحكومة التركية للترويج لمشروع الفوضى الأمريكية الهدامة في المنطقة، والذي بدأ بمشروع تقسيم سوريا والعراق، في إطار "سايكس - بيكو" ثانية، بعد مائة عام من الأولى، بينما من



# مركز سام للدراسات الإستراتيجية SAM CENTER FOR STRATEGIC STUDIES

جهة أخرى؛ تعمل على تقوية أعدى وحدة الأراضي التركية، وهي الفصائل الكردية السورية.

ولقد أكد ذلك تصريح الرئيس الأمريكي الحالي، دونالد ترامب، في حوار له لصحيفة النيويورك تايمز، في نوفمبر 2016م، بعد فوزه مباشرة بالانتخابات الرئاسية الأمريكية، التي جرت في ذلك الشهر، عندما قال إنه ليس من مهام بلاده "خلق أمم جديدة"، عندما كان يتناول الحرب في سوريا والسياسة الأمريكية فيها.

وتشير تقديرات عدة إلى أن الأجهزة الأمريكية تلعب في ملف الحرب السورية بطريقة ذكية؛ حيث إنها تمرر السياسات الروسية وسياسات حلفاء دمشق الآخرين في الحرب، من أجل أن يقوموا بـ"العمل" عنها، مع التدافع ضد جهود هذا المحور بوتيرة معينة تسمح بإطالة أمد الحرب، وليس وقفها.

ويشمل هذا "العمل" مكافحة التنظيمات الإرهابية المتطرفة، هو جزء أصيل من برنامج ترامب الرئاسي، وإجهااد إيران و"حزب الله"، واستنزافهم في حرب مرهقة طويلة الأمد، بالإضافة إلى الاستمرار في الخطة الأصلية، وهي تقسيم منطقة المشرق العربي وآسيا الصغرى على أسس قومية جديدة.

## خريطة القوى في الغوطة:

يُعتبر هذا الملف من أهم الملفات التي تفسر الصورة السابقة، بتعقيدها.



# مركز سام للدراسات الإستراتيجية SAM CENTER FOR STRATEGIC STUDIES

فالغوة تُعتبر نموذجًا مصغرًا للحرب في سوريا؛ حيث تشمل منظومة من القوى، وترتبط بمنظومة من القضايا، التي تلخص الموقف الحالي في سوريا والمنطقة.

يتواجد في الغوة الشرقية، أربعة فصائل رئيسية، وهي:

- "جيش الإسلام"، وتدعمه الرياض، وقوته قوامها 12 ألف مقاتل.
  - "فيلق الرحمن"، وتدعمه قطر، وقوته قوامها 11 ألف مقاتل.
  - "أحرار الشام"، وهو الذراع المسلح للتنظيم الدولي للإخوان المسلمين، وله 9 آلاف مقاتل.
  - "جبهة النصرة"، ويحظى بدعم قطري، مع بعض الدعم السعودي لأجنحة معينة منه، وقوته بضعة مئات من العناصر.
- وتسبغ تركيا رعايتها على مختلف هذه الفصائل، سواء لجهة إيواء قياداتها، أو تقديم الدعم السياسي والعسكري، والإسناد الإعلامي لها.
- وفي الخلفية من هذه المجموعات، توجد عناصر تنظيم الدولة "داعش"، في مخيم "اليرموك" للاجئين الفلسطينيين.
- وسبق لهذه المجموعات أن خاضت فيما بينها صراعات دامية، جسدت الصراعات التي تدب في كثير من الأحيان بين الأطراف الراعية لها.



# مركز سام للدراسات الإستراتيجية

## SAM CENTER FOR STRATEGIC STUDIES

فعلى سبيل المثال، وخلال السنوات الماضية؛ شهدت الغوطة قتالاً داميًا بين "جيش الإسلام"، و"فيلق الرحمن"، في الفترات التي كانت فيها العلاقات تتدهور بشدة بين السعودية وقطر.

إلا أن اتفاق جميع الأطراف المتنافسة في سوريا على هدف الإطاحة بالرئيس السوري بشار الأسد، فرض عليها في كثير من الأحيان تنحية خلافاتها جانبًا، من أجل تحقيق هذا الهدف.

### العملية التركية في "عفرين":

وتأتي العملية التركية في "عفرين"، حاملة في طياتها ذات التعقيدات والتناقضات غير المنطقية.

ولكن مبدئيًا، ينبغي التأكيد على نقطة شديدة الأهمية، وهو أن تباكي الأبواق الإعلامية واللجان الإلكترونية التابعة للإخوان المسلمين، وتقع بين الدوحة وأنقرة ولندن؛ على الجريمة - حقيقةً جريمة - الحاصلة في حق المدنيين في الغوطة الشرقية؛ إنما هو دموع تماسيح؛ حيث جريمة أخرى - وإن لم تكن بذات الحجم والأبعاد - تحدث على مرآى ومسمع منهم في "عفرين"، على يد القوات التركية، ومرترقة "الجيش السوري الحر"، وهم لا ينطقون!





# مركز سام للدراسات الإستراتيجية

## SAM CENTER FOR STRATEGIC STUDIES

الأمر الآخر؛ أن العملية التركية في "عفرين" قد آذت كثيرًا موقف المدنيين في الغوطة؛ حيث إن وسائل الإعلام الدولية لم تفرد الاهتمام اللازم للاوضاع في الغوطة في ظل وجود عملية "عفرين".

إضافة إلى ذلك، مثل سلوك "فيلق الرحمن" و"جيش الإسلام" و"أحرار الشام" في موضوع قصف العاصمة السورية دمشق، دورًا بارزًا - كذلك - في صرف النظر عن الحاصل في الغوطة.

وبالعودة إلى الملف الأصلي؛ فقد أشارت تقارير استخبارية وإعلامية عديدة موثوقة؛ إلى أن هناك تفاهات تركية سورية تبعًا لأولوية الملف الكردي لدى أنقرة، سمحت - أي هذه التفاهات - للرئيس السوري والروس بالقيام بعمليات عسكرية واسعة في إدلب والغوطة، نظير غض الطرف عن الموقف في "عفرين".

في المقابل؛ فإن النظام السوري أراد عملية "عفرين" لكسر إرادة الأكراد، ثم الاستجابة لطلبات الأكراد بحمايتهم باعتبار أنهم مواطنين سوريين، يجب على حكومتهم حمايتهم من الهجوم التركي، وبالتالي؛ إعادة سلطة الدولة إلى المناطق التي استولى عليها الأكراد ضمن فيدرالية "روج آفا".

ولقد استغرب البعض السهولة التي سمحت بها القوات الجوية التركية والمدفعية التركية المرابطة على الحدود السورية التركية مقابل "عفرين"، للقوات الرديفة التي بعثت بها دمشق، بدخول "عفرين".



# مركز سام للدراسات الإستراتيجية SAM CENTER FOR STRATEGIC STUDIES

فالاتفاق الذي تم بوساطة روسية، يقضي بعدم دخول قوات الجيش السوري النظامي إلى "عفرين"، ولكن دخول قوات بديلة، محسوبة على الحكومة السورية، أو تابعة لها، من أجل أن تتسلم الإدارة المحلية في "عفرين".

وبالفعل؛ تحقق للأتراك هدفهم؛ حيث قامت هذه القوات الرديفة، أو ما يُعرف بـ"القوات الشعبية"، بإزالة الأعلام الكردية من على معبر "الزيارة" الرابط بين العمق السوري، و"عفرين"، ومقار الإدارة الحكومية.

إلا أن الاتفاق ليس تاماً؛ حيث لا تفتئ المقاتلات والمدفعية التركية في قصف تجمعات "القوات الشعبية" ولكن في إطار هدف تركي، وهو فرض شريط حدودي آمن بين "عفرين" وبين تركيا.

في الإطار السابق؛ تسيير الأوضاع في الأزمة السورية، وبالتالي؛ يمكن القول إن عمليات "جنيف" و"سوتشي" و"أستانة"، قد ماتت، وأن الحرب السورية مرشحة للاستمرار، بل والتصاعد لسنوات طويلة قادمة، ما لم يحدث عاملٌ مفاجئ يسمح بتسوية بين العواصم الأهم الفاعلة في الأزمة.

وبالتالي؛ يمكن القول إن الاتصالات التي تُجرى بوساطة روسية ومصرية، من أجل تثبيت اتفاق منطقة خفض التصعيد في الغوطة - وقع عليه "فيلق الرحمن" و"جيش الإسلام" - بوساطة مصرية، لن تقود إلى شيء!

أحمد التلاوي: باحث مصري في شؤون التنمية السياسية، وكاتب أساسي في مركز سام للدراسات الإستراتيجية